# إفتِتان الناس بالأموال

# دراسة موضوعية

علي داود سلمان صالح

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله الأطهار، وصحبه الأبرار.

أمّا بعد:

فقد رغبتُ أن أكتُبَ بحثاً يتناولُ دراسة الآياتِ التي تناولتْ فتنةَ المال، وقد سمّيتُهُ (افتتان الناس بالأموال)، لكون المال فتنةَ هذه الأمّة، إذ ورد عن رسولِ الله (صلى الله عليه وسلم) أنّه قال: (إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ[١]).

ومن ينظر في أحوال الناس يجد أنّهم يجعلون المالَ سبباً للتفاضل الإنساني، والحقُّ أنّ اللهَ تعالى قد جعلَ المالَ ابتلاءً للعباد، ونرى كثيراً منهم يُقدِّمونَ حبَّ المال على كلِّ شيءٍ، فهم يجعلونه سبباً للرئاسة والخلود، حتى قادَ بعضَهم للطغيان والضلال والكفر.

وقد سلكتُ في هذا البحث المنهج الموضوعي في دراسة الآيات القرآنية.

وقد رجعتُ في إعداده إلى جمهرةٍ من كتب التفسير على اختلاف مناهج مصنفيها وإلى بعض كتب القراءات واسباب النزول والمصنفات في التراجم وغيرها.

واستلزم البحث أن أُقسِّمَه على أحدَ عشرَ مطلباً هي:

المطلب الأوَّل : حب الإنسان للمال حباً عظيماً

المطلب الثاني: المال سبب للرئاسة في نظر الناس

المطلب الثالث: عَدُّ الناس المال من الخيرات

المطلب الرابع: عد الإنسان المال سبباً لخلوده

المطلب الخامس: إتباع الناس لأَصحاب الأموال

---

(١) سنن الترمذي (٤/ ١٤٧) ، أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ فِتْنَةَ هَذِهِ الأُمَّةِ فِي الْمَالِ ، رقم الحديث:٢٣٣٦. وقال عقبه: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ.

المطلب السادس: المال زينة

المطلب السابع: تفاخر الناس بكثرة المال

المطلب الثامن: ابتلاء الله تعالى للإنسان في ماله.

المطلب التاسع: إلهاء الأموال الإنسانَ عن ذكر الله

المطلب العاشر: طغيان الإنسان وكفره بسبب كثرة ماله

المطلب الحادي عشر: المال سببٌ للضلال

وهذا مبلغ علمي، فإنْ وُفِقْتُ فيه فهذا من فضل الله عليَّ، وإنْ جانبني الصواب فهذا من سمت البشر، ورحِمَ اللهُ مَن سدَّدَ خُطايَ، وأقالَ عثرتي.

والله الموفّق لكلِّ خيرٍ.

## المطلب الأوَّل

## حُبُّ الإنسان للمال حباً عظيماً

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾[1]

بيَّن الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة أنَّ من طبيعة البشر أو غريزتهم أنَّهم يُحبون المال حباً كثيراً شديداً ، ويولعون به، فنرى أكثر الناس يحرصون غاية الحرص على جمعه وكنزه ، ومنع الحقوق منه فلا ينفقونه في الخير [2].

والمراد من قوله تعالى ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ أي: تُحبون ايها الناس جمع المال واقتناءه حباً كثيراً شديداً، وبهذا قال ابن عباس وقتادة والضحاك وعطاء.

والجَمُّ مأخوذ من قولهم جما الماء في الحوض: إذا اجتمع.

وقال مجاهد الجمُّ: الكثير.

وقال أبو عبيدة، والفراء، والكسائي، والزجاج وأهل التفسير: إنَّ معنى قوله تعالى: "حباً جماً" أي كثيراً شديداً [3].

---

(١) سورة الفجر الآية: ٢٠.

(٢) ينظر: تفسير النسفي (٣٣٨/٤)، وتفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (٤/ ٤٢٧)، والتفسير البسيط للواحدي(٢٣/ ٥١٥-٥١٤).

(٣) ينظر: التفسير البسيط (٢٣/ ٥١٥-٥١٤).

يقال: جَمَّ الشيء يَجُمُّ جُموماً، يقال ذلك في الماء وغيره، فهو شيء جمٌّ، وجام، قال أبو عمرو: يَجِمُّ ويَجُمُّ أي يكثر(١).

وقال ابن زيد: الجمُّ: الشديد(٢).

وبلغة مالك بن كنانة (أي بلهجتهم) أنَّ معنى قوله ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ هو: وتجمعون المال جمعا كثيراً (٣).

## المطلب الثاني

## المال سبب للرئاسة في نظر الناس

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ ﴾(٤)

أفادت هذه الآية الكريمة أنَّه لما طلب الملأ من بني اسرائيل من بعد وفاة موسى (عليه السلام) من نبيِّهم شمعون (عليه السلام) وهو من نسل هارون (عليه السلام) أنْ يُقيم لهم أميراً، ويجعلهُ قائداً لهم، ليقاتلوا معه الأعداء، في سبيل الله تعالى، فاختار لهم نبيُّهم شمعون طالوت ليكون ملكاً عليهم، فقال هؤلاء الملأ معترضين على نبيِّهم شمعون: كيف يكون ملكاً علينا؟ والحال أنَّه لا يستحق التملك، وأننا أحقُّ بالمُلك منه لأنَّ فينا من هو من أولاد الملوك، وكان طالوت فقيراً لا مالَ له، ولا بد للملك من مال يعتضد به، وإنَّما قالوا ذلك لأن النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب (عليه السلام)، والملك في سبط يهوذا، وكان طالوت من سبط بنيامين، وكان رجلاً سقاءً أو دبَّاغاً فقيراً.

---

(١) المصدر نفسه (٢٣/ ٥١٥-٥١٤).

(٢) ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان (٢٤/٤١٥- ٤١٦)

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٦٩٠)

(٤) سورة البقرة من الآية: ٢٤٧

فأجابهم نبيُّهم على اعتراضهم بأنَّ الله قد اختاره عليكم، وهو أعلم بمصالحكم منكم، ولا اعتراض على حكمه.

وبين لهم نبيُّهم شمعون أنَّ سبب الاختيار لطالوت ليكون أميراً هو توافر سببين فيه:

أحدهما: العلم ليتمكن به من معرفة أُمور السياسة فكان أعلم بني إسرائيل بالحرب والديانات في وقته، والمَلِك لا بد أنْ يكون من أهل العلم، فإنَّ الجاهل ذليل مزدرىً غير منتفع به.

ثانيهما: قوة البدن، ليكون أعظم في النفوس، وأهيب في القلوب ويقدر على مقاومة الأعداء ومكابدة الشدائد، فكان أطول من كل إنسان برأسه، ومنكبه(١).

فينبغي أن يكون المَلِك جسيماً.

فاجتمع في طالوت القوتان:

١- المعنوية: وهي العلم؛ وهو علم تدبير المُلك ، فعنده الحنكة، والرأي.

٢- الحسية: وهي أن الله زاده بسطةً في الجسم(٢).

قال ابن كثير: ومن هاهنا ينبغي ان يكون المَلِك ذا علم، وشكل حسن، وقوة شديدة في بدنه ونفسه(٣).

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (٤)

أوضحت هذه الآية الكريمة رغبة كفار قريش أنْ تكون النبوة وإنزال القران، وما يتبع ذلك من رئاسة للناس على رجل عظيم من مكة أو الطائف.

ومحمد (صلى الله عليه وسلم) ليس بذاك، فمن الحق أن يُسند هذا المنصب في نظرهم إلى رجل عظيم بزعمهم، وبحسب منظارهم في أُسس التفاضل بين الناس ، فرتبة النبوة وما تستلزمه من زعامة على الناس في نظرهم لا تليق إلَّا بالأعاظم الذين يملكون الجاه الكبير، والمال الكثير، والأولاد، والاتباع، ليكون له اليد

(١) ينظر: تفسير النسفي (١/ ١٣٠- ١٣١) ، وصفوة التفاسير للصابوني: ١/ ١٥٦- ١٥٧.

(٢) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٣/ ٢١٣)

(٣) تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم (١/ ٦٦٦).

(٤) سورة الزخرف الآية: ٣١

والإستيلاء على سائر الناس، إذ منصب النبوة منصب عظيم، يحتاج إلى ثروة، ووجاهة، ومكنة تامة، ورئاسة ظاهرة ، فأنكر الله عليهم ذلك وجهّلهم وعجِب من حالهم، ولم يفهموا أنْ رتبة النبوة اصطفاء أو اختيار من الله تعالى لاحد من انبيائه فقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾[1] فدلَّت هذه الآية الكريمة على أنَّ النبوة أمر وهبي من الله تعالى يهبه لمن يشاء من عباده وليست النبوة أمراً كسبياً يحصله العبد بالعبادة أو بالعلم أو بالرياضة أو غير ذلك من الطرق.

واختلف المفسرون في الرجلين من هما على النحو الآتي:

١- قال ابن عباس: الوليد بن المغيرة من مكّة وكان يسمى ريحانة قريش، وحبيب ابن عمرو بن عمير الثقفي من الطائف.

٢- وقال مجاهد: عتبة بن الربيع من مكّة وابن عبد ياليل الثقفي من الطائف.

٣- وقال قتادة: هما الوليد بن المغيرة المخزومي، وأبو مسعود عروة بن مسعود الثقفي.

٤- وقال السُّدِّي: الوليد بن المغيرة وكنانة بن عبد عمرو بن عمير.[2]

## المطلب الثالث

## عَدُّ الناس المالَ من الخيرات

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴾[3]

(١) سورة الحج الآية: ٧٥.

(٢) ينظر: تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٨/ ٣٣٢) ، وتفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن (٤/ ٨٣) ، والفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية لنعمة الله بن محمود النخجواني (٢/ ٢٩٩) ، وتفسير المراغي (٢٥/ ٨٥)

(٣) سورة المؤمنون الآيتان : ٥٥- ٥٦.

أنكر الله سبحانه وتعالى على الكفار الذين تفرقوا في دينهم زُبراً زعمهم: أنَّ الذي يعطيهم الله في عاجل دنياهم من مال وبنين إنَّما يسابق لهم في خيرات الاخرة، ويبادرهم فيها في الحياة الدنيا.

فأكذبهم الله فيما زعموا لأنَّ ما وهبهم الله به في الدنيا من مال أو ولد إنَّما هو استدراج من مكر الله بهم، وهم لا يعلمون أنَّ ذلك استدراج لهم، فهم كمن يرى السراب فيظنه شراباً. وهم كالصيد الغافل يُستدرجُ إلى مصرعه بالطعم المغري، ومثل هذا الطير في الناس كثير، يَغمرهم الرخاء، وتُشغلهم النعمة، ويُطغيهم الغنى، ويُلهيهم الغرور، حتى يلاقوا مصيرهم القاتم، بل هم لا يشعرون أصلاً، كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور، ليتأمّلوا ويعرفوا أن ذلك الإمداد استدراج لهم واستجرار إلى زيادة الإثم. وهم يحسبونه معاجلة فيما لهم فيه إكرام.

فأنكر الله عليهم دعواهم أنَّه يرزقهم الأموال والأولاد كرامةً لهم، بل يهبهم الله ذلك فتنةً وبلاءً، إذ يعطي الله الدنيا بما فيها من مال وولد لمن يحب ولمن لا يحب. وهم لا يشعرون بما وراء المال والبنين من مصير قاتم ومن شر مستطير(١).

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية لأبي محمد مكي بن أبي طالب (٧/ ٤٩٧٥- ٤٩٧٦) ، ولطائف الإشارات = تفسير القشيري (٢/ ٥٧٨) ، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٣/ ٢٦٥)، والدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (١٠/ ٥٨٣)، تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٢٩٢/٧- ٢٩٣)، وفي ظلال القرآن لسيد قطب (٤/ ٢٤٧٢- ٢٤٧٣).

# المطلب الرابع
# عَدُّ الإنسان المالَ سبباً لخلوده

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴾[١]

بيَّنت هذه الآية الكريمة أنَّ الإنسان يجمع ماله لينتفع منه في دنياه إلى حين ينتقل إلى دار البقاء.

وقيل: إنَّ الإنسان عندما يصبح ماله كثيراً يظن أنَّ ماله سينجيه من الموت، وهذا غاية اغترار الإنسان بالمال الوفير.[٢]

وقرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وروح (جَمَّعَ) بالتشديد للمبالغة في كثرة الجمع.

وقرأ بقية القراء (جَمَعَ) بالتخفيف منهم ابْن كثير ونَافِع وأبو عَمْرو وعَاصِم[٣]، فمعناه وجمع مَالاً واتخذ قوماً أعدَّهم أنصاراً.[٤]

وقرأ الجمهور ومنهم أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف قوله تعالى ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ بتشديد الدال.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي[٥] والحسن البصري

(١) سورة الهمزة الآية: ٢- ٣

(٢) تفسير التستري (ص: ٢٠٥) ، وتفسير السمرقندي = بحر العلوم (٣/ ٦١٦)

(٣) السبعة في القراءات لأحمد بن موسى التميمي البغدادي (٦٩٧)

(٤) تفسير السمرقندي = بحر العلوم (٣/ ٦١٦)

(٥) أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي الضرير مقرئ الكوفة وعالمها قرأ على عثمان وعلي وابن مسعود وسمع منهم ومن عمر وتصدر للإقراء في خلافة عثمان إلى أن مات في سنة ثلاث وسبعين أو بعدها في إمرة بشر بن مروان على العراق قرأ عليه عاصم، وحدث عنه إبراهيم النخعي وسعيد بن جبير وعلقمة بن مرثد وعطاء بن السائب وإسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّي وكان ثقة رفيع المحل رحمه الله تعالى: تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٤٧) ، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١/ ٤١٣)

وابن يعمر[١] وابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بتخفيفها[٢].

قال الزجاج: (من قرأ عدَّدَه بالتشديد فمعناه عدده للدهور ومن قرأ عدده بالتخفيف فمعناه جمع مالاً وعدداً، أي وقوماً اتخذهم أنصاراً)[٣].

ومعنى قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴾ أي استعبد بماله، الخدمَ والحيوانَ.

ومعنى قوله تعالى( وَعَدَّدَهُۥ ) أي حسبه وأحصاه قاله السُّدِّي.

وقيل: معنى قوله تعالى: (وَعَدَّدَهُۥ) أي أعده للدهر، وبه قال عكرمة.

وقيل: أكثره، لأن في تكثير عينه تكثيرَ عددِه.

وقيل: أحصاه مرة بعد أخرى وحفظ عدده.[٤]

ومعنى قوله تعالى ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴾ أي يظن الإنسان أنَّ ماله يخلده أو يظن أنَّ ماله يكون مانعا له من الموت فهو يعمل عمل من لا يظن أنَّه يموت[٥]

فزجرهم الله تعالى بقوله ﴿ كَلَّا ﴾ أي لا يُخلدُ المالُ الإنسان أبداً[٦].

---

(١) هو: يحيى بن يَعْمَر بفتح التحتانية والميم بينهما مهملة ساكنة البصري نزيل مرو وقاضيها ثقة فصيح وكان يرسل من الثالثة مات قبل المائة وقيل بعدها: ينظر: تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني (٥٩٨)

(٢) ينظر: المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر أحمد بن الحسين النيسابوري (٤٧٧) ، وزاد المسير (٩/ ٢٢٨)

(٣) زاد المسير (٩/ ٢٢٩)

(٤) غرائب التفسير وعجائب التأويل لأبي القاسم الكرماني (٢/ ١٣٨٧).

(٥) زاد المسير (٩/ ٢٢٩)

(٦) تفسير السمرقندي = بحر العلوم (٣/ ٦١٦)

# المطلب الخامس

# إتباع الناس لأَصحاب الأموال

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴾[١]

ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة على لسان نوح (عليه السلام) أنَّ عامة قومه من الفقراء قد عصوا أمره فلم يستجيبوا إلى ما دعاهم إليه من الهدى والرشاد ، مع مبالغته في إرشادهم بالعظة والتذكير، واتبعوا كبراءهم وأشرافهم لكثرة أموالهم وأولادهم، إلَّا أنَّ كثرة أموال الأشراف وأولادهم لم تغنِ عنهم شيئاً بل زادتهم خساراً ، لابتعادهم عن دين الله الحق، وعدم اتباعهم لرسوله نوح (عليه السلام) الذي أرسله الله تعالى اليهم ليأخذ بأيديهم إلى الطريق القويم[٢].

فصارت تلك الأموال والأولاد سبباً لزيادة خسارتهم في الآخرة إذ أبطرتهم أموالهم وغرتهم أولادهم، فصاروا أُسوة لأتباعهم في الخسار.

وقد اتبع عامة الفقراء زعماءهم الذين نالوا وجاهة قومهم بسبب كثرة أموالهم وأولادهم اذ جعل الأتباع الغنى سبباً صحيحاً لاتباع سادة أقوامهم.

وهذا الأمر جارٍ على الناس على مر العصور والدهور ولم تسلم منه قريش إذ قال الله تعالى على لسانهم ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [٣]

ودلَّت هذه الآية الكريمة على أنَّ ازدياد المال والولد كثيراً ما يكون سبباً للهلاك الروحانيِّ، ويورث الضلال في الدين أوّلاً والإضلال عن اليقين ثانياً.

وإنَّ المفهوم من نظم الآية أنَّ أموالهم وأولادهم عين الخسار، لأنهما إذا أدَّيا إلى البطر والإغترار وكفران حق المنعم بهما، وصارا وسيلتين إلى العذاب المؤبَّد

---

(١) سورة نوح الآية: ٢١

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٤٥١) ، وتفسير الطبري = جامع البيان (٢٣/ ٦٣٨)

(٣) سورة الزخرف الاية: ٣١.

في الآخرة صارا كأنّهما محض الخسار؛ لأنَّ الدنيا في جنب الآخرة كالعدم، فمن أنتفع بهما في الدنيا خسر سعادة الآخرة.(١)

وقد بيَّن ابن كثير أنَّ وهب الله كثرة الأموال والأولاد للكفار إنَّما هو استدراج وإنظار لهم لا إكرام(٢).

## المطلب السادس

## المال زينة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾(٣)

معنى قوله تعالى (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ) ، أي: حُسِّن وحُبِّب إليهم(٤).

فبدأ سبحانه وتعالى بذكر شهوة النساء أوَّلاً لأن فتنة النساء أشدُّ من فتنة جميع الأشياء.

وقَالَ الْحسن البصري: المُزَيِّنُ في قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ هُوَ الشَّيْطَان؛ لِأَن الله تعالى ذمَّ الدُّنْيَا بأبلغ ذمٍّ، فَلَا يزينه فِي الأعْيُن ، وهو قول طائفة من المعتزلة(٥) وكأنهم استدلوا على ما ذهبوا إليه بقوله تعالى: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾(٦).

وَقَالَ عَامَّة الْمُفَسِّرين: المُزَيِّنُ: هُوَ الله تعالى، وتزيينه: أَنه حبب فِي قُلُوبهم شَهْوَة النِّسَاء والبنين...الخ(٧).

---

(١) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ محمد الأمين بن عبد الله الأرمي (٣٠/ ٢٥٩)

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٣٤)

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٤

(٤) تفسير السمرقندي = بحر العلوم (١/ ١٩٨)

(٥) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن: (١/ ٢٣٠)

(٦) سورة النمل الآية: ٢٤.

(٧) تفسير السمعاني (١/٣٠٠)

وهذا ما اختاره أَهل السنة والجماعة مستدلين بالآيات الكريمة الآتية:

قال تعالى: ﴿ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ ﴾[١]

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾[٥]

وكل ذلك يدل على أن المزيِّن هو الله تعالى. ومما يؤيد ذلك قراءة مجاهد زَيَّنَ بفتح الزاي على تسمية الفاعل[٦].

لذا قال أَهل السنة: المُزَيِّنُ هو الله تعالى، لأنه تعالى خالق لجميع أفعال العباد، ولأن الله تعالى خلق جميع ملاذ الدنيا وأباحها لعبيده، وإباحتها للعبد تزيين لها.

ونقل عن أبي علي الجبائي[٧] من المعتزلة أن كل ما كان حراما كان المُزَيِّنُ له هو الشيطان، وكل ما كان مباحا كان المُزَيِّنُ له هو الله تعالى.

---

(١) سورة النمل الآية: ٤.

(٢) سورة البقرة من الآية: ٢٩.

(٣) سورة الاعراف من الآية: ٣٢.

(٤) سورة الكهف من الآية: ٧.

(٥) سورة المائدة من الآية: ٨٨.

(٦) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القرآءات والايضاح عنها لعثمان بن جني الموصلي (١٥٥/١)

(٧) هو أبو علي محمد بن عبدالوهاب الجبائي شيخ المعتزلة فِي زَمَانِهِ، وَعَلَيْهِ اشْتَغَلَ أبو الْحَسَنِ الْحَسَنِ الاشْعَرِيُّ ثُمَّ رَجَعَ عَنْهُ، وَلِلْجُبَّائِيِّ تَفْسِيرٌ حَافِلٌ مُطَوَّلٌ، لَهُ فِيهِ اخْتِيَارَاتٌ غَرِيبَةٌ فِي التَّفسير، وَقَدْ رد عليه الاشعري فيه وقال: وكأن القرآن نزل في لغة أَهل جباء. كان مولده فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَمَاتَ في سنة ثلاث وثلثمائة من الهجرة. ينظر: وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (٢٦٧/٤)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٤٢/١١).

والصحيح ما ذهب إِليه أَهل السنة لأن الله تعالى خالق كل شيء ولا شريك له في ملكه[١].

وأمَّا التزيين من الله تعالى، فهو على وجهين:

الوجه الاول: يكون على جهة الامتحان للمؤمنين مع العصمة.

الوجه الثاني: وقد يكون للكفار على جهة العقوبة مع الخذلان.

وأمَّا التزيين من الشيطان، فهو على جهة الوسوسة[٢].

قال الشَّافِعِي رحمه الله: (ومن لم تتق نفسه، ولم يحتج إلى النكاح من الرجال والنساء، بأنَّ لم تخلق فيه الشهوة التي جعلت في اكثر الخلق، فإن اللَّه عز وجل يقول: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾الآية، أو بعارضٍ اذهب الشهوةَ (من كِبَرٍ أو غيره)، فلا أرى بأساً أن يدع النكاح، بل أُحِبُّ ذلك، وأن يتخلى لعبادة الله).[٣]

ومعنى قوله تعالى ﴿ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾أي: الذي يستمتع به في الحياة الدنيا وهي زائلة فانية، يشير إلى أنَّ الحياة الدنيا متاع يفنى.

ومعنى قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ أي: المرجع.

وفي قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ إشارة إلى التزهيد في الدنيا، والترغيب في الآخرة.

وقيل: فيه إشارة إلى أنَّ من آتاه الله الدنيا كان الواجب عليه أن يصرفها فيما يكون فيه صلاحه في الآخرة، لأنها السعادة القصوى.[٤]

وخلاصة ما يُذكر فيها: أنَّ الله تبارك وتعالى قد جعل المال زينة في أنظار الناس وهو من بين ما يفتن فيه المرء من شهوات.

---

(١) ينظر: تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ٢٣٠)

(٢) ينظر: تفسير السمرقندي = بحر العلوم (١/ ١٩٨)

(٣) ينظر: تفسير الإمام الشافعي (١/ ٤٦٣- ٤٦٤)

(٤) ينظر: تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ٢٣١)

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾[١]

أوضح تعالى في هذه الآية الكريمة أنَّ المال والبنين هما زينة الحياة الدنيا.

وذكر المفسرون: أنَّ هذه الآية الكريمة رَدٌّ على عيينة بن حصين، والأقرع والرؤساء من الكفار الذين كانوا يفتخرون بالمال والغنى والأبناء، فأخبر الله تعالى أنَّ ذلك مما يُتَزيَّن به في الحياة الدنيا ويُتَجمل به، لا مما ينفع في الآخرة[٢].

قال عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (رضي الله عنه): الْمَالُ وَالْبَنُونَ حَرْثُ الدُّنْيَا، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ حَرْثُ الآخرة، وقد يجمعهما الله لأقوام[٣].

وقال بعضهم: المألوفات من الاهل والمال، والأولاد كلُّها من زينة الحياة الدنيا.

وقال سفيان الثوري كَانَ يقال إنما سُمِّي المال، لأنه يميل بالناس، وإنَّما سُمِّيت الدُّنْيَا، لأنها دنت.

وروي عن ابن عباس أنَّ المراد من الباقيات الصالحات هي الصلوات الخمس.

وأراد بها بعضهم أنَّها الأذكار[٤].

وفسَّر ابن عطاء الباقيات الصالحات بأنَّها الأعمال الخالصة، والنيات الصادقة، وكل ما أُريد به وجه الله هو الصدق.

قال جعفر الصادق (رحمه الله): الباقيات الصالحات هو التوحيد فإنه باق بقاء المُوَحَّدِ.

وقال يحيى بن معاذ: الباقيات الصالحات هي نصيحة الخلق[٥].

ومعنى قوله تعالى ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ أنَّ الباقيات الصالحات هي خير عند ربك عَاقِبَةً.

---

(١) سورة الكهف الآية: ٤٦

(٢) التفسير البسيط للواحدي (١٤/ ٣٥)

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٦٤)

(٤) التفسير البسيط (١٤/ ٣٥)

(٥) تفسير السلمي = حقائق التفسير(١/ ٤١٠- ٤١١)

وهي خَيْرُ مَا يَأْمَلُ الْعِبَادُ فِي الدُّنْيَا أَنْ يُثَأبوهُ فِي الآخرة.(١).

فإمَّا أنْ يكون الله قد أراد من قوله تعالى ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾:

إنَّ المال والبنين مَقَرُّ زينة الحياة الدنيا.

وإمَّا أنْ يكون الله تعالى قد جعل المال والبنين بمنزلة الغنى والكثرة (٢).

والمال والبنون مما كان يتفاخر بهما أغنياء المشركين وكبراؤهم وهما في نظرهم زينة الحياة الدنيا ، إلَّا أنَّهما ليسا من زاد الآخرة في نظر الله سبحانه والمؤمنين (٣).

والإقبال على الله تعالى والتفرغ لعبادته خير للمؤمنين من اشتغالهم بالجمع للمال والشفقة المفرطة على الأولاد(٤)، والتفاخر والتكاثر بالمال والولد.

وأعلَمَنا الله تعالى أنَّ الدنيا سريعة الفناء، فلا ينبغي التفاخر بالمال والولد وسائر ما فيها من شهوات.

وقدَّم الله تعالى المال على البنين مع كونهم أعزَّ من المال لدى جميع الناس- لأنَّ الزينة بالمال أتم، ولأنه يمد الآباء والأبناء في كل حين، ولأنه مناط بقاء النفس والأولاد، وبذا يبقى النوع الإنساني، ولأنَّ الحاجة إلى المال أمس من الحاجة إلى الولد، ولأنَّ المال زينة بدون الأولاد، دون العكس، فإنَّ من له بنون ولا مال له فهو في بؤس وشقاء.

ثم بين تعالى ما ينبغي التفاخر به، من أعمال الخير التي تبقى ثمرتها للإنسان وهى أفعال الطاعات كالصلاة والصدقة والجهاد في سبيل الله ومساعدة البائسين وذوي الحاجات- وهي افضل عند الله تعالى من المال والبنين جزاءً، وخير أملاً، إذ ينال بها صاحبها في الآخرة ما كان يؤمِّله في الدنيا(٥).

---

(١) تفسير يحيى بن سلام (١/ ١٨٩)

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٥٢٠)

(٣) ينظر: تفسير الخازن (٤/ ٢١٤)

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ١٦١)

(٥) ينظر: تفسير المراغي (١٥/١٥٤- ١٥٥)

وخلاصة ما يذكر في هذه الآية ، أنَّ مال المرء عندما يكثر يكون زينة له، أو شارةً حسنةً في أنظار الناس الذين ينبهرون بكثرة الأموال ويعدونها واهمين أنها سبب لرفعة مكانة الإنسان الذي يملكها.

بينما في منظار القران ليس المال مَهْمَا كثر بالسبب الذي يرفع مكانة الإنسان ، وفي نظر المؤمنين أنَّ ما أعدَّه الله من خيرات للمؤمنين يوم يلقونه لهو أعظم درجة مما حصَّلوه من مال ونعيم في الدنيا وهذا ما أشار إليه قوله تعالى:﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾[1]

## المطلب السابع

## تفاخر الناس بكثرة المال

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾[2]

بيَّن الله تعالى في هذه الآيات الكريمة أنَّه ما بعث رسولاً نذيراً في أهل قرية ينذرهم بأس الله أن ينزل بهم على كفرهم إلَّا قَالَ مُتْرَفُو تلك القرية أو البلدة العظيمة وهم كبراؤها في الضلالة ، لمن أُرسل اليهم: إنَّا بما أُرسلكم الله به إلينا جاحدون، وكذا قال ذلك ايضا مشركو العرب لنبيَّنا محمدٍ (عليه الصلاة والسلام).

وكان أهل الاستكبار على الله ورسله من كل قرية يقولون لرسلهم والذين آمنوا معهم: نحن أكثر منكم أموالاً وأولاداً ولن نُعذب في الآخرة، وكانوا يدعون أنَّه لو لم يكن الله راضياً عنا في ديننا لم يعطنا كثرة المال والولد ويفضلنا به.

---

١ – سورة الكهف الآية: ٤٦

(٢) سورة سبأ الآية: ٣٥

ثُمَّ أمر الله تعالى أنْ يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) لقومه: إنَّ الله هو الذي يوسع على من يشاء في رزقه ويضيق على من يشاء، وليس التوسع في الرزق بفضلٍ ومنزلةٍ وقُربةٍ لمن وُسِّع عليه، ولا التضييق في الرزق لبغض ولا مقت ولا إهانة لمن ضُيِّق عليه، بل ذلك كلُّه لله تعالى، يفعل ما يشاء إبتلاء منه لعباده، ليعلم الشاكرَ من الكافر.

ثم قال الله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أنَّ الله يفعل ذلك لسنن وضعها لكسب المال في هذه الحياة، فمن سلك سبيلها وصل إلى ما يبتغي، ومن أخطأها وضلَّ لم يَنلْ شيئاً من حظوظها، ولا رابطة بين الثراء ومحبة الله، ألَا ترى أنَّه رُبَّما وسَّع سبحانه على العاصي وضيَّق على المطيع، وربَّما عكس الأمر، وقد يوسع على المطيع والعاصي تارةً ويضيق عليهما أُخرى- يفعل كلَّ ذلك بحسب ما اقتضته مشيئته المبنية على الحِكَمِ البالغة التي قد نعلمها، وربَّما خفي علينا أمرها، ولو كان البسط دليل الإكرام والرضا لاختصَّ به المطيع، ولو كان التضييق دليل الإهانة لاختصَّ به العاصي.

فالله إنَّما يفعل ذلك اختباراً وامتحاناً. فيظنون أنَّه إنَّما وسَّع على قوم لفضلهم ومحبتهم، وضيَّق على قوم لبغضهم ومقتهم.

ثم بيَّن الله تعالى لهؤلاء المستكبرين المعاندين أنَّه ليس ما كسبوا من الأموال والأولاد مما يقربهم إلى الله قربى، إنما يقربهم من الله تعالى الإيمان والعمل الصالح، فلا فائدة لمن يتفاخر بأنَّه أكثر أموالاً وأولاداً من الرسل.

وبيَّن تعالى أنَّه لا ينفع أحداً كثرةُ ماله وولده، إلَّا مَنْ آمَنَ بالله تعالى وبرسله وباليوم الآخر وعملوا الصالحات، وأطاعوا الله وأطاعوا رسله فيما أُمروا به ، ونهوا عنه.

فالمؤمنون الذين يعملون الصالحات هم الذين تقربهم أموالهم وأولادهم بطاعتهم لله في ذلك وأدائهم حقَّ الله فيه دون أهل الكفر(١).

(١) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (٩/ ٥٩٣٠- ٥٩٣٢) ، وتفسير الجلالين للسيوطي ( ٥٦٨)، وتفسير المراغي (٢٢/٨٨- ٨٩)

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[1]

أعْلَمَ الله تعالى المؤمنين أَنَّ الْحَياةَ الدُّنْيا، إنَّما هي دارُ لَعِبٍ بَاطِلٍ لَا حَاصِلَ لَهُ اذ يُتعب الناس فيها أنفسهم جداً إتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة، وهي دار لهو وفَرَحٍ ثُمَّ يَنْقَضِي فهم يُلهون به أنفسهم عمَّا يَهمهم، وأنَّها زِينَةٌ، يتزينون بِها، كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة، وأنَّها تَفاخُرٌ بَيْنَهم بالأنساب، يَفْخَرُ بِها بَعْضُهمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَأنَّها تَكاثُرٌ أَيْ مُبَاهَاةٌ بِكَثْرَةِ الأموال والأولاد.

ثُمَّ ضَرَبَ الله تعالى لَهَا مَثَلًا فَقَالَ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ، أَيِ الزُّرَّاعَ، نَباتُهُ، ثُمَّ يَيْبَسُ ذلك الزرع فَتَراهُ مُصْفَرًّا، بَعْدَ خُضْرَتِهِ وَنَضْرَتِهِ، ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً، يَتَحَطَّمُ وَيَتَكَسَّرُ بَعْدَ يُبْسِهِ وَيَفْنَى، وهو تمثيل لها في سرعة تقضيها وقلة جدواها.

فحقَّر الله تعالى من يطلب الدنيا وحدَها لأنَّها قليلة النفع سريعة الزوال.

ثم بيَّن الله تعالى حقيقة الحياة الدنيا بأنَّها ليست إلَّا مَتاعَ الْغُرُورِ، لمن أقبل عليها ولم يطلب بها الآخرة.

وعندما تنتهي الحياة الدنيا يكون للكافرين فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ شَدِيدٌ، تنفيراً عن الإنهماك في الدنيا وحثاً على ما يُوجب كرامةَ العقبى.

ويكون للمؤمنين مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوانٌ[2].

ومما يمكن ذكره هنا: أنْ الأولاد سبب للتباهي والتفاخر بين الناس، وينسى أكثر الناس أنْ الأولاد إنَّما هم نعمة من الله تعالى وقد جعلهم الله موضع بلاء للناس فمن رُزق الولدُ فما عليه إلَّا أنْ يشكر المنعِم الذي أنعم بالولد وسائر النعم، وعليه أنْ لا يشغله ولده عن ذكر الله وطاعته باتباع أوامره واجتناب نواهيه، وإلَّا كان من الخاسرين ، ومن لم يرزق بالولد فما عليه إلَّا أنْ يرضى بقضاء الله وقدَرِه ، وأنْ

(١) سورة الحديد الآية: ٢٠

(٢) ينظر: تفسير البغوي (٥/٣١- ٣٢) ، وتفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ١٨٩)

يعتقد أنَّ الله تعالى إنما أراد له الخير بسلب الولد عنه وما على العقيم إلَّا أنْ يتذرع بقوله تعالى ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾ (١).

أَمَّا الذين يفتنون بأولادهم فيعتزون بهم من دون الله فهم واهمون لأنَّ الدنيا ليست بدار بقاء، بل هي فانية، وقد جعلها الله داراً للغرور وما على المومن إلَّا أنْ يؤثر ما أعَدَّهُ الله للمؤمنين من خير لا ينقطع يوم القيامة ، وذلك بعدم الإغترار بما في الدنيا من ولد وسائر وما فيها من شهوات وملذات وزخارف وزينة.

وخلاصة ما يمكن ذكره أنَّ الآية الكريمة قد أفادت كراهة التكاثر أو التفاخر في الأموال، لأنها من حطام الدنيا الفاني ، ومتاعها الزائل ، وما الأموال إلَّا احدى الفتن العظيمة التي يبتلي الله بها عباده ، بل المال هو فتنة أُمتنا كما علمنا آنفاً ، وعلى العاقل أنْ لا يستبدلَ مغفرةَ الله ورضوانَه الدائمَ بالمالِ الزائل لا محالة.

## المطلب الثامن

## إبتلاء اللّه تعالى للإنسان في ماله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٢)

نقل الطبري عن ابن عباس (رضي الله عنهما) وغيره أنَّ هذه الآية إخبارٌ من الله سبحانه وتعالى لأتباع رسوله (صلى الله عليه وسلم) أنَّ الله مبتليهم وممتحنهم بشدائدَ من الأمور، ليعلم من يتبع الرسولَ ممن ينقلب على عقبيه، كما امتحن أصفياءَه قَبلهم.

فأخبر الله المؤمنين أن الدنيا دارُ بلاء، وأنَّه مبتليهم فيها، بشيء من خوف ينالهم من عدوهم إذ ستقع حروبٌ بينَهم وبَينَ أعدائهم من الكفار، فينقص لها عددهم، وموتُ ذراريهم وأولادهم، وسيصيبهم مجاعةٌ وشدةٌ، وستتعذر المطالب عليهم،

(١) سورة القصص من الآية: ٦٠

(٢) سورة البقرة الآية: ١٥٥

فتنقص لذلك أموالهم وثمارهم، وأمرَهم بالصبر وبَشَّرهم فقال:" وبشر الصابرين"، ثم أخبرهم أنَّه فعل هكذا بأنبيائه وصَفوته، لتطيب أنفسهم.

كل ذلك امتحانٌ من الله لهم، فيتبيَّن الصادقون في إيمانهم من الكاذبين فيه، ويُعرف أهلُ البصائر في دينهم، من أهل النفاق فيه والشك والإرتياب.

وإنما قال تعالى ذكره:" ﴿ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ ﴾ " ولم يقل بأشياء، لاختلاف أنواع ما أعلم عبادَه أنَّه مُمتحنهم به.

وليخفف عليهم ويريهم أنَّ رحمته معهم في كل حالٍ لا تزايلهم وإنَّما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطِّنوا عليه نفوسَهم.(١)

وقال الزمخشري: (في الآية إيماء إلى أنَّ الانتساب إلى الإيمان لا يقتضي سعة الرزق وبسط النفوذ وانتفاء المخاوف، بل كل ذلك يجرى بحسب السنن التي سنَّها الله لخلقه، فتقع المصائب متى وجدت أسبابها، وكامل الإيمان يتأدب بمقاومة الشدائد، ويتهذَّب بوقوع الكوارث) (٢).

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾(٣)

سبب نزول الآية: ذُكرت أقوالٌ عدةٌ في سبب نزول هذه الآية الكريمة منها:

ما رواه الواحدي بإسناده: (أنَّ كعب بن الأشرف اليهودي كان شاعراً، وكان يهجو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويحرض عليه كفار قريش في شعره، وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) قدِم المدينة، وأهلُها أخلاط، منهم المسلمون، ومنهم المشركون، ومنهم اليهود، فاراد النبي (صلى الله عليه وسلم) أنْ يستصلحهم، فكان المشركون واليهود يؤذونه ويؤذون أصحابه أشدَّ الأذى، فأمر الله تعالى نبيه بالصبر

(١) تفسير الطبري = جامع البيان (٣/٢١٩- ٢٢١)

(٢) تفسير الكشاف للزمخشري (١: ٢٠٧)

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٨٦

على ذلك، وفيهم أَنزل الله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ .... ﴾)[١].

وكان هذا قبل نزول آية السيف.

ففي هذه الآية الكريمة خاطب الله المهاجرين الذين أخذ المشركون أموالهم بمكة وباعوا رباعهم وعذَّبوهم بأنَّ الله سيختبرهم في أموالهم بالخسران والنقصان حتى يتبيَّن الجازع من الصابر، والمخلص من المنافق، وسيبتلي أنفسهم بالأمراض.

واعلمهم أنَّهم سيسمعون من اليهود ومن الذين اشركوا أذىً كثيراً

وأخبرهم تعالى بأنَّهم إنْ صبروا على الأذى الذي ينالهم وتركوا معارضة من يؤذيهم فإنَّ الصبر مما يُعزم عليه من الأمر أو من حق الأمور وخيرها.

وبيَّن عطاءٌ أنَّ معنى قوله تعالى (مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ) أي من حقيقة الإيمان[٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[٣]

ذكر ابن عباس ( رضي الله عنه ) أنّ هذه الآية الكريمة خطابٌ لأبي لُبابة، لأنّه كانت له أموال وأولاد عند بني قريظة.

وقيل: هذه الآية خطابٌ لجميع الناس، وذلك أنّه لمّا كان الاقدامُ على الخيانة في الأمانة هو حبُّ المال والولد نبّه الله سبحانه وتعالى على أنّه يجبُ على العاقل أن يحذرَ من المضار المُتَولّدة من حبِّ المال والولد، لأنّ ذلك يُشغل القلب، ويُصيِّرهُ محجوباً عن خدمةِ المولى، وهذا من أعظم الفتن.

فأعلم اللهُ المؤمنين أنّ أموالهم وأولادهم إنّما هي ابتلاءٌ يُظهرُ مال في النفسِ من اتِّباعِ الهوى، أو تجَنُّبِهِ، وأنّ الله عنده أجرٌ عظيمٌ، والمراد بالأجر العظيم هو الجنّة، إذ لا أعظم منها أجراً.

---

(١) اسباب النزول: للواحدي (٩٩).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي (٥٣٠/١- ٥٣١) ، وتفسير البغوي = معالم التنزيل في تفسير القرآن (٥٥٠/١- ٥٥١)

(٣) سورة الأنفال الآية: ٢٨

فالأموال والأولاد محنةٌ من الله ليبلوَ المؤمنين كيف يُحافظون على حدود الله في أموالهم وأولادهم.

وقيل: الأموال والأولاد سببُ الوقوع في الفتنة، وهي الإثمُ والعذابُ، فعليكم أن تحرصوا على طلب ذلك، وتزهدوا في الدنيا، ولا تحرصوا على جمع المال، وحبّ الولد.

وقُدِّمت الأموال على الأولاد لأنّها أعظم فتنةً.

وفي هذه الآية الكريمة تنبيهٌ على أنّ سعادةَ الآخرة – وهي ثوابُ الله – أفضل من سعادة الدنيا، وهي المال والولد.(١)

وخلاصة معناها أنَّ الأموال والأولاد جعلهما الله بلاء واختبار لعباده ، وفيها تحذير من الله تعالى أنْ يفتتنوا بأموالهم وأولادهم ويتركوا طاعة ربِّهم ، فيخسروا رضوانه ونعيمه الدائم يوم القيامة، والخائبُ من فضَّل أولاده على ما اعده الله له من رضوان وخلود.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾(٢)

ومعنى هذه الآية الكريمة هو عين معنى الآية الكريمة آنفة الذكر لتقاربهما في الألفاظ.

## المطلب التاسع

## إلهاء الأموال الإنسان عن ذكر الله

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾(٣)

(١) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (٢٠٤/٢) ، وتفسير النسفي (٨٩/٢) ، وتفسير الخازن (٢٥/٣)، والبحر المحيط في التفسير (١٩٢/١٠)، وتفسير ابن كثير (١٣٩/٨)، واللباب في علوم الكتاب لأبي حفصٍ النعماني (١٣٨/١٩).

(٢) سورة التغابن الآية: ١٥

(٣) سورة المنافقون الآية: ٩

أمر الله تعالى في هذه الآية الكريمة الذين آمنوا أنْ لا تشغلهم أموالهم وَلا أَوْلادُهمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ يعني: عن طاعة الله تعالى، ومن لم يعمل بطاعته ولم يؤمن بوحدانيته، فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ يعني: المغبونين بذهاب الدنيا وحرمان الآخرة(١).

وغلبَ في العُرفِ استعمالُ الفتنةِ في الوقوع فيما يسوءُ.

والفتنةُ نوعانِ:

إحداهما: خاصة، تختص بالرجلِ في نفسِهِ.

والثانية: عامَّة ، تعمُّ الناسَ.

فالفتنة الخاصة: ابتلاءُ الرجلِ في خاصةِ نفسِهِ بأهلِه ومالهِ وولدِهِ وجاره.

وحصرُ الله الفتنة في الأموال والأولاد مبنيٌّ على الغالب فإنَّ فتنتهما تُلهي عن طلبِ الآخرةِ، والأستعدادِ لها، وتُشغل عن ذلك.

روى أبو داود والترمذي بإسنادهما عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقْبَلَ الْحَسَنُ، وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَعْثُرَانِ وَيَقُومَانِ، فَنَزَلَ فَأَخَذَهُمَا، فَصَعِدَ بِهِمَا الْمِنْبَرَ، ثُمَّ قَالَ: " صَدَقَ اللَّهُ: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ ﴾، رَأَيْتُ هَذَيْنِ فَلَمْ أَصْبِرْ "، ثُمَّ أَخَذَ فِي الْخُطْبَةِ(٢).

وقد ذمَّ اللَّهُ تعالى منْ ألهاهُ مالُهُ وولدُهُ عن ذكر الله ، وجعله من الخاسرين.

فظهرَ بهذا: أنَّ الإنسان يُبتلَى بمالهِ وولدِهِ وأهلِهِ وجاره، ويُفتتن بذلك، فتارةً يُلهيه الاشتغالُ به عمَّا ينفعه في آخرتِهِ، وتارةً تحملُهُ محبتُه على أنْ يفعلَ لأجله بعضَ ما لا يُحبُّه اللَّه، وتارةً يقصِّر في حقِّه الواجبِ عليه ، وتارةً يأتي العبدُ ما يكرهُه اللَهُ من قولٍ أو فعلٍ، فيسألُ عنه ويُطالب، فإذا حصل للإنسان شيء من هذه

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم (٣/ ٤٥٣)

(٢) سنن أبي داود (١/ ٢٩٠) ، تَفْرِيعِ أَبْوَابِ الْجُمُعَةِ ، بَابُ الْإِمَامِ يَقْطَعُ الْخُطْبَةَ لِلْأَمْرِ يَحْدُثُ ، رقم الحديث: ١١٠٩ ، وقال محققه الالباني صحيح ، وينظر: سنن الترمذي (٦/ ١٢٢) ، أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَابُ مَنَاقِبِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَالْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، رقم الحديث: ٣٧٧٤. وقال عقبه: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ الحُسَيْنِ بْنِ وَاقِدٍ.

الفتن الخاصة، ثم صلَّى أو صامَ أو تصدَّقَ أو أمر بمعروفٍ أو نهى عن منكرٍ كان ذلك كفَّارةً له.

قالَ أبو حازمٍ[١]: كلُّ ما شغلَكَ عنِ اللهِ من مالٍ أو ولدٍ فهو عليك شؤم[٢].

ويمكننا إيجاز القول هنا: بأنَّ الأموال سبب من أسباب إلهاء المرء عن ذكر الله تعالى وطاعته، فعلى المؤمن أنْ يقي نفسه من الوقوع في فتنة المال لأنَّها من أكثر الأشياء التي تصرف المرء عن طاعة ربِّه.

## المطلب العاشر

## طغيان الإنسان وكفره بسبب كثرة ماله

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٣]

همزةُ الاستفهامِ في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ لإنكارِ النفي وتقريرِ المنفي، أي ألم تنظُرْ؟ أو ألم ينتهِ علمُك إلى هذا الطاغوت المارد كيف تصدى لإضلال الناس وإخراجهم من النور إلى الظلمات؟[٤].

---

(١) هو: سلمان أبو حازم الأشجعي الكوفي كان ثقة من الثالثة مات على رأس المائة روى له الجماعة روى عن مولاته عزة الاشجعية وابن عمر وأبي هريرة والحسن والحسين وابن الزبير وغيرهم وعنه الأعمش ومنصور وأبو مالك الأشجعي وغيرهم قال أحمد بن معين وأبو داود ثقة وقال بعض الناس مات في خلافة عمر بن عبد العزيز وذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن سعد كان ثقة وله أحاديث صالحة وقال العجلي ثقة وقال وذكره ابن عبد البر اجمعوا على أنَّه ثقة: تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (٤/ ١٤٠)

(٢) ينظر: تفسير ابن رجب الحنبلي(١/ ٦٩٩) و(٢/ ٤٧٥).

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٥٨

(٤) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٧/ ٢١)

فذكَّرَ اللهُ نبيَّنا ( صلى الله عليه وسلم ) بمحاجة الطاغية نمروذ بن كنعان لنبي الله ابراهيم ( عليه السلام ) لأن الله آتى هذا الطاغية المُلكَ ، فحمله بطرُ المُلكِ على محاجَّةِ ابراهيم ( عليه السلام) ومخاصمتِهِ.

والمُحاجَّة: هي أقبحُ وجوهِ الكفر، وكان يجبُ على النمروذ أن يقوم بالشكر لله المنعم عليه بدل الكفر به ومحاجة انبياء الله ومخاصمتهم والاستهزاء بهم [١].

فلما دخل ابراهيم بلدة نمروذ ليدعوهم إلى دين الله تعالى ، أرسل إليه نمروذ وقال: مَنْ ربُّك؟.

﴿ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ﴾.

﴿ قَالَ ﴾ أي نمروذ﴿ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ ﴾: أقتل مَنْ شِئتُ، وأَستحيي مَنْ شِئتُ.

فَسمَّى تركه القتل إحياءً، وعارضَهُ في الحجة بالعبارة دون فعل حياة، أو موتٍ، على سبيل الإختراع.

فاحتج إبراهيم بحجة مسكِتة، لا يتمكن نمروذ أن يقول: أنا أفعل ذلك.

وهذه الحجة هي قوله تعالى:

﴿ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ﴾

فَتَحيَّر النمروذ، وسكت وانقطعت حجته.[٢]

وذهب معظم المفسرين إلى أنَّ الذي حاجَّ ابراهيم في ربِّه هو النمروذ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَجَبَّرَ وَادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ ، وممن قال بهذا مجاهد.

والضمير في قوله تعالى ﴿ فِي رَبِّهِۦٓ ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَعُودَ إلى إِبْرَاهِيمَ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرْجِعَ إلى النمروذ، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ.

أَمَّا الضميرُ الهاءُ في قَوْلِهِ تعالى:﴿ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ ﴾ فالراجح أنَّه عائد إلى النمروذ ، وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْمُفَسِّرِينَ ، ومن الادلة على ذلك ما يأتي.[٣]

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١/ ٢٥١)

(٢) التفسير الوسيط للواحدي (١/ ٣٧١)

(٣) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٧/ ٢٠)

١- أَنَّ المراد من المُلك هاهنا التَّمَكُّنُ وَالْقُدْرَةُ وَالْبَسْطَةُ فِي الدُّنْيَا، وَالْحِسُّ يَدُلُّ عَلَى أَنَّه تَعَالَى قَدْ يُعْطِي الْكَافِرَ هَذَا الْمَعْنَى، وَأَيْضاً فَلِمَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّه تَعَالَى أَعْطَاهُ الْمُلْكَ حَالَ مَا كَانَ مُؤْمِناً، ثُمَّ إِنَّه بَعْدَ ذَلِكَ كَفَرَ بِاللَّهِ تَعَالَى.

٢- أَنَّ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَإِنْ كَانَ أَقْرَبَ الْمَذْكُورِينَ إِلَّا أَنَّ الرِّوَايَاتِ الْكَثِيرَةَ وَارِدَةٌ بِأَنَّ الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ هُوَ الْمَلِكَ، فَعَوْدُ الضَّمِيرِ إليه أَوْلَى مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ

٣- أَنَّ إيتاء الله المُلكَ للنمروذ أَبْطَرَهُ وَأَوْرَثَهُ الْكِبَرَ وَالْعُتُوَّ فَحَاجَّ لِذَلِكَ، وَمن المَعْلُومِ أَنَّ هَذَا إِنَّمَا يَلِيقُ بِالْمَلِكِ الْعَاتِي.

٤- أَنَّ الْمَلِكَ الْعَاتِي لَا يظهر منه هَذَا الْعُتُوُّ الشَّدِيدُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَحْصُلَ على الْمُلْكِ الْعَظِيمِ، الذي يحمله على الطغيان ومحاجة الآخرين بالباطل والبهتان والإفتراء.

٥-أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ هَذِهِ الآية بَيَانُ كَمَالِ حَالِ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) فِي إِظْهَارِ الدَّعْوَةِ إِلى الدِّينِ الْحَقِّ، ولم يكن مَلكاً وهو يدعوهم إلى التوحيد، وكَانَ النمروذ الْكَافِرُ سُلْطَاناً مَهِيباً أو مَلِكاً عظيماً.

فَوَجَبَ الْمَصِيرُ إِلى عودة الضمير في قوله تعالى ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ إلى الملك النمروذ وليس إلى إبراهيم ( عليه السلام ) (١).

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾(٢)

أَكَّدَ الله تعالى أنَّ قارون كان من قوم موسى والأشهر أنَّه ابن عم موسى لحّاً، وبه قال ابراهيم النخعي، وابن جريج، وهو بالإجماع رجل من بني اسرائيل ، كان ممَّن آمن بموسى وحفظ التوراة وكان من أقرأ الناس لها ، وكان يسمى المنوَّر لحسن صورته، ثم إنَّه لحقه الزهو والإعجاب فبغى على قومه بأنواعٍ من البغي من ذلك كفره بموسى واستخفافه به ، وافتراؤه عليه لكثرة ماله، إذ كان من أعظم الناس

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٧/ ٢١)

(٢) سورة القصص الآية ٧٦

مالاً وسميت أمواله كنوزاً، والكنز: المال المدفون في باطن الأرض، والمراد به هنا المال المدَّخر.

وقد كان ممتنعاً عن أداء الزكاة وبسبب ذلك عادى موسى (عليه السلام) أوَّل عداوته.

ومعنى «المفاتح» المذكورة في هذه الآية الكريمة بحسب ظاهرها أنَّها التي يفتح بها، ويحتمل أن يراد بها الخزائن والأوعية الكبار، قاله الضحاك لأن المَفتحَ في كلام العرب الخِزانة. بحيث كانت مفاتح خزائنه ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ﴾ إذ كانت كثيرة.

قال أبو صالح: كانت خزائنه تُحمل على أربعين بغلاً.

وأما قوله «تنوء» فمعناه تنهض بتحامل واشتداد.

وذهب كثير من المفسرين إلى أنَّ العصبة تنوء بالمفاتح المثقلة لها.

واختلف الناس في «العصبة» كم هي فقال ابن عباس: ثلاثة، وقال قتادة: من العشرة إلى الأربعين، وقال مجاهد: خمسة عشر حملاً، وقيل: أحد عشر حملا على إخوة يوسف، وقيل: أربعون.

والرأي الراجح أنَّ العصبة: هي الجماعة الكثيرة يتعصب بعضهم لبعض بلا تعيين عدد خاص.

والمراد من قوله تعالى ﴿أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾ أي أصحاب الشدة.

فبيَّن الله تعالى أنَّ سبب طغيان قارون على قومه كان بسبب كثرة ما أعطاه الله من المال المذخور الذي يثقل حمل مفاتيح خزائنه على العدد الكثير من الأقوياء من الناس، فكان من بغيه أنَّه زاد في ثيابه شبراً على ثياب الناس، قاله شهر بن حوشب، إلى غير ذلك مما يصدر عمَّن فسد اعتقاده.

فما كان من قوم قارون إلَّا أنْ نصحوه ونهوه عن الفرح المطغي، الذي هو انهماك وانحلال نفس وأشر وإعجاب، أي قالوا له: لا تبطر وتتمسك بالدنيا ولذاتها حتى تتلهى عن الآخرة ، ثم وصَّوه أن يطلب بماله رضا الله تعالى ويقدم لآخرته.

فما كان من قارون بعد نُصح قومه له إلَّا أنْ بغى عليهم: أي تكبَّر وتجبر. وتجاوز الحد في احتقارهم، والقرابةُ كثيراً ما تدعو إلى البغي. ثم علَّل الله تعالى النهي عن الفرح بكونه مانعاً محبة الله فقال:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ أي أنَّه تعالى لا يكرم الفرحين بزخارف الدنيا ولا يقرِّبهم من جواره، بل يبغضهم ويبعدهم من حضرته.(١)

والمراد بالفرح هنا: فرح الزهو والعُجب والخُيلاء.. فهو فرح متولِد من تلك المشاعر التي تحرك في صاحبها دوافع البغي والتسلط..

أما الفرح، على إطلاقه، فليس بمكروهٍ، إذا كان عن قلب يجد لفضل الله وإحسانه موقعاً منه(٢)

تبيَّن لنا ممَّا سبق عرضه أنَّ كثرة أموال قارون قد كانت سبباً في طغيانه وضلالته.

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴾(٣)

سبب نزول الآية: قال الطبري: (ذُكر أن ذلك نزل في رجل بعينه من بني جُمح، كان يُدعى أبا الأشدِّ، وكان شديداً، فقال جلَّ ثناؤه: أيحسب هذا القويُّ بجَلَده وقوَّته، أنْ لنْ يقهره أحد ويغلبه، فالله غالبه وقاهره)(٤).

وقد روى بعض المفسرين أنها نزلت بمناسبة موقف مكابرة وتبجح وقفه أبو الأسد ابن كلدة أحد زعماء مكة وأغنيائها، وفاخر فيه بما أنفقه من مال في مناوأة رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) وصحة الرواية محتملة، غير أن أسلوب الآيات عام مطلق.

ويتبادر أنَّ الموقف المروي كان مناسبة لنزول الآيات متضمنة تنديداً عاماً بمثل خُلق هذا الزعيم وموقفه، وهذا ما يُلحظ في مناسبات كثيرة.(٥)

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢٩٨- ٢٩٩) ، وتفسير المراغي (٢٠/٩١- ٩٣).

(٢) ينظر: التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب (١٠/ ٣٨٤)

(٣) سورة البلد الآية: ٦

(٤) تفسير الطبري جامع البيان (٢٤/ ٤٣٥) ، وينظر: تفسير ابن فورك (٣/ ٢٢٢)، والتفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٤٨٩)

(٥) التفسير الحديث لدروزة محمد عزت (٢/ ٢٥٤- ٢٥٥)

وكأنَّ الآية قد نزلت رداً على كافر كان يتفاخر بكثرة إنفاقه ، ويدعي أنْ لا محاسبَ له على إنفاقه لماله الكثير في أيِّ شيء، فرد الله عليه بقوله سبحانه ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ (١).

ومعنى قوله تعالى ﴿ مَالًا لُّبَدًا ﴾ أي: مالاً كثيراً ، قد تراكب بعضه على بعض، كما تلبَّدت طرائق الشَّعر، وسبائخ القطن(٢).

وقد يجوز أن يكون ذلك مأخوذاً من قولهم: رجل لبد. إذا كان لازماً لبيته لا يبرحه. وبه سمِّي نسر لقمان لبداً، لمماطلته للعمر، وطول بقائه على الدهر. فكأنَّه قال: أهلكت مالاً كان باقياً لي، وثابتاً عندي(٣).

ونستخلص مما ذكر آنفا أنَّه لا يجوز التفاخر بكثرة الأموال وإنفاقها بالخير والشر معا، كما يفعل الكفار الذين يزعمون أنَّ المال حق مطلق لهم يتصرفون في إنفاقه كما يشاؤون، بل الحق في نظر الإسلام أنَّ المال لله يستخلف عباده في التصرف فيه في وجوه الخير فقط.

وقد روى الترمذي بإسناده عَنْ أبي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ(٤). فيستلزم على المسلم أنْ لا يجمع ماله إلَّا من طريق حلال ، وأنْ لا ينفقه إلَّا في وجه حلال، وليس كما يصنع الكفار الذين ضل كثير منهم بسبب كثرة أموالهم وإنفاقهم لها في وجوه الباطل.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾(٥)

---

(١) سورة البلد الآية: ٧.

(٢) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٣)

(٣) ينظر: تفسير ابن فورك (٣/ ٢٢٢) ، وتلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي (٢/ ٣٦٦) ،

(٤) سنن الترمذي (٤/ ١٩٠) ، أَبْوَابُ صِفَةِ القِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَابٌ فِي القِيَامَةِ ، رقم الحديث: ٢٤١٧. وقال عقبه: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

(٥) سورة العلق الآية: ٦

سبب نزول الآية:

ذكر الواحدي أنَّ هذه الآية والتي بعدها نزلت في أبي جهل، وروى بإسناده عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يصلي، فجاء أبو جهل، فقال: ألَم أنهك عن هذا، فانصرف إليه النبي (صلى الله عليه وسلم) فزبره، فقال أبو جهل: والله إنَّك لتعلمُ ما بها نادٍ أكثر مني[١].

فكان أبو جهل إذا أصاب مَالاً كثيراً، أشِر وبَطِرَ وزَاد فِي طَعَامه وَشَرَابه وثيابه ومركبه [٢].

وقوله تعالى: ﴿ كَلَّآ ﴾ ردع وتكذيب لمن كفر بنعمة الله عليه بسبب طغيانه[٣].

والآية بمجملها إنكار لمن يطغى، أَي: يُجَاوز الْحَدَّ فِي الْعِصْيَان عندما يكثر ماله، فيرى نَفسه غَنِياً، أي يعلم أنَّه صار غنياً، فيبطر ويتجاوز قدره ، ويرفع نفسه من منزلة إلى منزلة أعلى منها، فيعصي ربَّه، ويستغني بماله عن ربِّه[٤].

وروى الدارمي بإسناده عن ابن مسعود (رضي الله عنه) موقوفا عليه قال:" مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ: صَاحِبُ الْعِلْمِ، وَصَاحِبُ الدُّنْيَا، وَلَا يَسْتَوِيَانِ. أَمَّا صَاحِبُ الْعِلْمِ، فَيَزْدَادُ رِضًا لِلرَّحْمَنِ، وَأَمَّا صَاحِبُ الدُّنْيَا، فَيَتَمَادَى فِي الطُّغْيَانِ، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [٥]

ونستخلص مما ذُكر أنَّ الإنسان قد يطغى ويكفر بسبب كثرة ماله.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾ [٦]

---

(١) اسباب النزول للواحدي (٣٣٩)

(٢) تفسير القرآن للسمعاني (٦/ ٢٥٦- ٢٥٧) ، وزاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٦٧)

(٣) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٦٦٣)

(٤) تفسير القرآن للسمعاني (٦/ ٢٥٦- ٢٥٧) ، وزاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٦٧) ، وتفسير القرآن للعز بن عبد السلام (٣/ ٤٧٠) ، وتفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٦٦٣).

(٥) سنن الدارمي (١/ ٣٥٥) ، المقدمة / بَابٌ فِي فَضْلِ الْعِلْمِ وَالْعَالِمِ ، رقم الحديث: ٣٤٤. وقال وقال محققه:إسناده منقطع: عون بن عبد الله بن عتبة أرسل عن ابن مسعود.

(٦) سورة القلم الآية ١٤

يكون معنى الآية على قراءة قرَّاء المدينة والكوفة والبصرة: (أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ) على وجه الخبر بغير استفهام بهمزة واحدة لقوله تعالى ( أنْ) النهي عن طاعة الحلَّاف المهين من أجل أنَّه ذو مال وبنين[١].

ومن هنا يُعلم أنَّه لا عبرة، ولا اعتداد بالمال والغنى؛ بل الإعتداد بالإيمان، وحسن الخلق[٢]

وكان ينبغي أن يقابل الإنسان النعمة بالشكر لا بالجحود والتكذيب[٣]

وإن قلت: واذا قيل يؤخذ من هذه الآية ترجيح الفقر على الغنى، لأن الغِنى سبب طغيان هذا؟.

فالجواب: أنَّ من نزلت في حقه هذه الآية إنَّما طغى بمجموع المال والبنين.

وإذا قيل لماذا قدم تعالى هنا في سورة القلم وسورة الكهف ( الآية ٤٦) المالَ على البنين؛ بخلاف ما في سورة آل عمران ( الآية ١٤ ) ؟.

فالجواب: أنَّ مناط الشهوة في الأعمِّ النساء، ومناط الزينة في الغالب المال، وأمَّا البنون فمحبتهم أشدُ من محبة المال، لأن الإنسان يفدي ولده بماله كلِّه، وقدَّم تعالى في هذه الآية ( من سورة القلم ) المالَ؛ لأنه أقوى الأسباب في الطغيان.[٤]

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴾[٥]

بيَّن لنا تعالى في هذه الآية الكريمة سبب كفر الوليد بن المغيرة إذ رزقه الله مالاً كثيراً، دائماً لا ينقطع عنه من الزَّرع والضَّرع والتّجارة[٦]

وَقد ورد أَنَّه كَانَ لَهُ بُسْتَان بِالطَّائِف لَا يَنْقَطِع دخله شتاءً وَلَا صيفاً[٧].

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان (٢٣/ ٥٤٠ – ٥٤١)

(٢) أوضح التفاسير لمحمد محمد عبد اللطيف (١/ ٧٠٣)

(٣) صفوة التفاسير (٣/ ٤٠٣)

(٤) تفسير ابن عرفة (٤/ ٢٧٠)

(٥) سورة المدثر الآية: ١٢

(٦) الوجيز للواحدي (ص: ١١٤٩)

(٧) تفسير السمعاني (٦/ ٩١)

وَعَن ابْن عَبَّاس فِي بعض الرِّوَايَات: كَانَت لَهُ الإبل المؤبَّلة وَالْخَيْل المسوَّمة والأنعام من الإبل وَالْبَقر وَالْغنم وَالذَّهَب وَالْفِضَّة وَغير ذَلِك.

وقد عُرف الوليد بن المغيرة أنَّه كان له الحرص وطول الأمل.(١)

وَيُقَال: المال الممدود: هُوَ المَال الَّذِي يستوعب جَمِيع وُجُوه المكاسب من التِّجَارَة وَالزَّرْع والضرع وَغير ذَلِك(٢).

وقيل في تحديد المال الممدود أقوال شتى منها:

١- ما بلغ ألف دينار.

٢- ما بلغ مِائَةَ ألف دِينَارٍ.

٣- ما كان أَرْضاً يَسْتَغِلُّهَا.

وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ(٣).

وخلاصة ما يمكن ذكره هنا أنَّ المال الكثير قد يكون سبباً لضلال الإنسان وكفره كالذي حصل من الوليد بن المغيرة إذ قاده ماله الكثير إلى التعالي ثمَّ الكفر.

## المطلب الحادي عشر

## المال سببٌ للضلال

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾(٤)

لمَّا بالغ موسى (عليه السلام) في إظهار المعجزات وهم مصرون على العناد واشتدَّ أذاهم عليه وعلى من آمن معه، وهم لا يزيدون على عرض الآيات إلَّا كفراً،

(١) تفسير التستري (: ١٨١)

(٢) تفسير السمعاني (٦/ ٩١)

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٦٥)

(٤) سورة يونس الآية: ٨٨

وعلى الإنذار إلَّا استكباراً ، أو علم بالتجرِبة وطول الصحبة أنَّه لا يجيء منهم إلَّا الغي والضلال، أو علم ذلك بوحي من الله تعالى، دعا اللهَ تعالى عليهم.

فناجى موسى ربَّه ربَّنا إنَّك اعطيت فرعون وملأه زينةً- أَيْ: مِنْ أَثَاثِ الدُّنْيَا وما يُتزين به من اللباس والمراكب ونحو ذلك من متاع الدنيا- وأموالاً جزيلةً كثيرةً ، ليضلوا عن سبيلك.

قال المؤرخون والمفسرون: كان لهم فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبالٌ فيها معادنُ الذهب والفضة والزبرجد والياقوت.

واختلف المفسرون في لام قوله تعالى: (لِيُضِلُّواْ) على ثلاثة أقوال:

القول الأوَّل : هي لام (كي) ومعناه [أعطيتهم لكي يضلُّوا ويبطروا ويتكبَّروا] لتفتنهم بها فيَضِلُّوا ويُضلُّوا إملاءً منك أَيْ: أَعْطَيْتَهُمْ ذَلِكَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَرْسَلْتَنِي بِهِ إِلَيْهِمُ اسْتِدْرَاجًا مِنْكَ لَهُمْ.

القول الثاني: هي لام العاقبة ولام الصيرورة يعني أعطيتهم ليضِلُّوا فيكون عاقبة أمرهم الضلال.

وهى متعلقة بـــ ﴿ ءَاتَيْتَ ﴾، أو للعلة، لأن إيتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال، ولأنَّهم لما جعلوها ذريعةً إلى الضلال فكأنهم أُوتوها ليُضِلُّوا.

القول الثالث: وقيل: هذه اللام اتت بمعنى لأجل ضلالهم عقوبة لهم.

القول الرابع: إنَّ اللام قد جاءت للدعاء وبه قال الحسن البصري والزمخشري.

ثم دعا موسى ربَّه لما رأى الكفرَ من فرعون وملئه أنْ يطمس على أموالهم أي يمحوها أو يُهلكها، وبه قال ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ.

وقال اكثر المفسرين أي امسخ أموالهم وغيِّرها عن هيأتها، وبه قال الضَّحَّاكُ، وأبو الْعَالِيَةِ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ.

ورُوي عن ابن عباس أنَّه قال: إنَّ الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحاً وأثلاثاً وأنصافاً.

وقال محمد بن كعب القرظي: جعل سِكَّتهم حجارة.

ورُوي عنه أيضاً أنَّه قال: عَادَتْ أموالهم كُلُّهَا حِجَارَةً.

وقال قتادة: بلغنا أنَّ زروعهم صارت حجارة.

وذكر ابن زيد: أنَّه صار ذهبهم ودراهمهم وعدسهم وكلُّ شيء يملكونه حجارةً.

وقال السُّدِّي: مسخ الله أموالهم حجارةً، النخلَ والثمارَ والدقيقَ والأطعمةَ، وكانت إحدى الآيات التسع.

وكان من دعوة موسى (عليه السلام) لربِّه على فرعون وملئه أن قال: ﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ﴾ يعني واطبع عليها أي اجعلها قاسيةً حتى لا تلين ولا تنشرح للإيمان، وبه قال ابن عباس.

والمراد من قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ أي حتى يعاينوه ويوقنوا به بحيث لا ينفعهم ذلك إذ ذاك

وَهَذِهِ الدَّعْوَةُ كَانَتْ مِنْ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، غَضَباً لِلَّهِ ولِدِينِهِ عَلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ

قال ابن جريج: مكث فرعون بعد هذا الدعاء أربعين سنةً.

فالآية إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَمَّا دَعَا بِهِ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئه، لَمَّا أَبَوْا قَبُولَ الْحَقِّ وَاسْتَمَرُّوا عَلَى ضَلَالِهِمْ وَكُفْرِهِمْ مُعَانِدِينَ جَاحِدِينَ، ظُلْماً وَعُلُوّاً وَتَكَبُّراً وَعُتُوّاً.(١)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾(٢)

شبَّه الله تعالى فعل المنافقين بفعل الكافرين الذين كانوا من قبلهم في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وقبض الأيدي عن فعل الخير والطاعة، ثم إنَّه تعالى

(١) ينظر: تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٥/١٤٤- ١٤٥) ، وتفسير البغوي (٢/ ٣٦٥- ٣٦٦) ، و البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي (٥/ ١٨٥- ١٨٦) وتفسير ابن كثير (٤/ ٢٩٠) ، وتفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ١٧٢).

(٢) سورة التوبة الآية: ٦٩

وصف الكفار بأنَّهم ﴿ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا ﴾ أي كانوا أشدَّ من هؤلاء المنافقين بطشاً ومنعة إذ كانوا أكثر أموالاً وأولاداً(١).

ذكر المفسرون في معنى الآية أقوالاً عدةً :

القول الأوَّل : وعد الله الكفار نار جهنم وعداً كما وعد الذين من قبلهم، وبه قال الزجاج.

القول الثاني: وقيل: المعنى فعلتم كأفعال الذين من قبلكم في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف.

القول الثالث: وقيل: أي أنتم كالذين من قبلكم، أي كانوا أشدَّ منكم قوةً فلم يتهيأ لهم ولا أمكنهم رفع عذاب الله (عزَّ وجلَّ)(٢).

وقد روى البخاري ومسلم بإسنادِهما عَنْ أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اليَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ»؟(٣)

وقال ابن عباس: ما أَشبَهَ الليلةَ بالبارحة، هؤلاء بنو إسرائيل شُبِّهْنا بهم، ونحوه عن ابن مسعود(٤).

ومعنى قوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ ﴾ أي انتفعوا بنصيبهم من الدين كما فعل الذين من قبلهم.

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للشربيني (٦٢٩/١)

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٢٠٠)

(٣) الحديث متفق عليه اخرجه البخاري في صحيحه (١٠٣/٩)، كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» ، رقم الحديث: ٧٣٢٠. وينظر: صحيح مسلم (٤/ ٢٠٥٤)، كتاب الْعِلْمِ ، بَابُ اتِّبَاعِ سُنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، رقم الحديث: ٢٦٦٩.

(٤) لم نعثر على هذين الاثرين الموقوفين عن هذين الصحابيين في كتب السنة المعتمدة بعد طول تفتيش.

والمراد من قوله تعالى ﴿ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ﴾ أي وخضتم خوضاً كالذين خاضوا فِي الْبَاطِلِ والكذب على الله تعالى وَالطَّعْن فِي تكذيب النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) والاستهزاء بالمؤمنين(١).

او خضتم في أسباب الدنيا باللَّهو واللَّعب.

وبيَّن تعالى جزاءَ من يفعل ذلك إذ قال تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾.

ومعنى حبطت أعمالهم: أي بطلت حسناتهم، ومن فُعل به ذلك كان من الخاسرين حقاً (٢).

والمعنى أنَّه كما بطلت أعمال الكفار الماضين وخسروا تبطل أعمالكم أيُّها المنافقون وتَخسرون.

فالآية خطابٌ للحاضرين، وفيها ذمٌّ الأوَّلين باستمتاعهم بما أُوتوا من حظوظ الدنيا العاجلة وحرمانهم من سعادة الآخرة بسبب استغراقهم في تلك الحظوظ العاجلة تمهيداً لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء أثرهم، ولمَّا بيَّن تعالى مشابهةَ هؤلاء المنافقين لأولئك المتقدِّمين في طلب الدنيا وفي الإعراض عن طلب الآخرة بيَّن حصولَ المشابهة بين الفريقين في تكذيب الأنبياء وفي المكر والخديعة (٣)

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للشربيني (٦٢٩/١)

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢٠١) ، تفسير الجلالين ( ٢٥٢)

(٣) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (١/ ٦٢٩)

# الخاتمة

تبيّن لنا مِمّا سبقَ عرضُه في هذا البحث المتواضع ما يأتي:

١- يُعدُّ المالُ من أبرزِ الشهواتِ التي يُفتَتَنُ بها الناسُ بعدَ النساءِ والبنين.

٢- جُعِلَتْ فتنةُ أمّةَ الإسلامِ في المال.

٣- ليس المالُ سبباً صحيحاً للتفاضلِ بين البشر، كما زعم المفتونون به.

٤- من الأخطاء الفادحة اتِّباعُ النّاسِ لذوي الأموال الكثيرة، بدلاً من اتِّباعهم لأهل الحقِّ والفضلِ والعلم والصلاح.

٥- التحذير من إلهاء المال المؤمنينَ، فإنّه يُشغلهم غالباً بجمعه عن أداءِ حقوق الله تعالى.

٦- صار المالُ سبباً لطغيان كثير من الناس، وقد أدّى حبهم له إلى الظلم والكفر، بل ظنّ بعضُهم أنّ المالَ سببٌ لخلودهم.

٧- ينبغي للمسلم أن يتّخِذَ من المالِ وسيلةً لا غايةً، لأنّ المال سلاحٌ ذو حدّين، فمَن استعمله بالخير فقد نجا، ومَن استعمله في إشباعِ شهواته ونزواته فقد ضلّ وغوى.

٨- إذا أراد المسلم أن ينجوَ من فتنة المال فعليه أن يكسُبَه من حلال، وأن يُنفقه في حلال، وأن يُؤدِّيَ حقَّ اللهِ والناسِ فيه.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله الطاهرين، وصحبه الغرِّ الميامين.

# ثبت المصادر


١. اسباب النزول: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) وطبع بهامشه الناسخ والمنسوخ لابي القاسم هبة الله بن سلامة ، طبعة عالم الكتب بيروت ، توزيع مكتبة المتنبي/ القاهرة ، ومكتبة سعد الدين/ دمشق.

٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) ، حققه: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٣. أوضح التفاسير: محمد محمد عبد اللطيف ابن الخطيب (المتوفى: ١٤٠٢هـ) ، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها ، الطبعة: السادسة، رمضان ١٣٨٣ هـ – فبراير ١٩٦٤ م.

٤. بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي ، دار النشر: دار الفكر – بيروت ، تحقيق: د. محمود مطرجي.

٥. البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ،: صدقي محمد جميل ، الناشر: دار الفكر – بيروت ، الطبعة: ١٤٢٠ هـ. اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) ، حققه: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

٦. البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، حققه: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ – ١٩٨٨ م.

٧. تذكرة الحفاظ: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
٨. تفسير ابن عرفة: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي المالكي، (المتوفى: ٨٠٣هـ)، حققه: جلال الأسيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م.
٩. تفسير ابن فورك – من أول سورة نوح – إلى آخر سورة الناس: الإمام العلَّامة/ أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك، (المتوفى ٤٠٦)، دراسة وتحقيق: سهيمة بنت محمد سعيد محمد أحمد بخاري (ما جيستير)، الناشر: جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى: ١٤٣٠- ٢٠٠٩ م.
١٠. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١١. تفسير الإمام الشافعي: أبو عبدالله محمد بن إدريس المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، الناشر: دار التدمرية – المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى: ١٤٢٧ – ٢٠٠٦ م.
١٢. تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن ،: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإِيجي الشافعيّ (المتوفى: ٩٠٥هـ) ، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.
١٣. تفسير التستري: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: ٢٨٣هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، حققه: محمد باسل عيون السود ، الناشر: منشورات محمد علي بيضون/ دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ.

١٤.تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الحديث – القاهرة ، الطبعة: الأولى.
١٥.التفسير الحديث [مرتب بحسب ترتيب النزول]: دروزة محمد عزت ، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ، الطبعة: ١٣٨٣ هـ.
١٦.تفسير الفاتحة والبقرة: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) ، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.
١٧.تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي): أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، حققه: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي ، الناشر: دار ابن حزم – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
١٨.تفسير القرآن: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني ، سنة الولادة ٤٢٦هـ/ سنة الوفاة ٤٨٩هـ، تحقيق ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، الناشر دار الوطن– الرياض، سنة النشر ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م، مكان النشر السعودية.
١٩.تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) ، حققه: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط/٢ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م
٢٠.تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي (المتوفى: ٣٢٧هـ)، حققه: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.
٢١.التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

٢٢.تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) حققه: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٢٣.تفسير النسفى المسمى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل ): أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار النشر: دار النفائس ــ بيروت ٢٠٠٥، حققه: الشيخ: مروان محمد الشعار.

٢٤. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت - لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٢٥.تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ)، حققه: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ.

٢٦.تقريب التهذيب: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) ، حققه: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.

٢٧.تلخيص البيان في مجازات القرآن: الشريف الرضي ، دار النشر: دار الأضواء ــ بيروت.

٢٨.تهذيب التهذيب: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند،

الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ. روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي): زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله ابن محمد ، الناشر: دار العاصمة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ – ٢٠٠١ م.

٢٩.جامع البيان في تأويل القرآن أبو جعفر الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (المتوفى: ٣١٠هـ)، حققه: أحمد محمد شاكر ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م. التَّفْسِيرُ البَسِيْط: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) ، أصل تحقيقه في (١٥) اطروحة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.

٣٠.جامع البيان في تأويل القرآن أبو جعفر الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (المتوفى: ٣١٠هـ)، حققه: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٣١.الجامع الكبير – سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة، الترمذي، (المتوفى: ٢٧٩هـ)، حققه: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.

٣٢.الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسننه وأيامه = صحيح البخاري: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، حققه: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، مع الكتاب: شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق.

٣٣.الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، حققه: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
٣٤.الدر المنثور: عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.
٣٥.زاد المسير في علم التفسير: أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) حققه:عبد الرزاق المهدي ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
٣٦.السبعة في القراءات: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ)، حققه: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف – مصر ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ.
٣٧.السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة ، عام النشر: ١٢٨٥ هـ.
٣٨.سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) ، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
٣٩.سنن الدارمي: أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، حققه: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.
٤٠.صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني ، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
a. عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، حققه: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر ، الطبعة: الثالثة.

٤١.غاية النهاية في طبقات القراء: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر.
٤٢.غرائب التفسير وعجائب التأويل: برهان الدين أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر، الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ) ، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت.
٤٣.الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية: نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: ٩٢٠هـ) ، الناشر: دار ركابي للنشر – الغورية، مصر ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.
٤٤.في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق– بيروت– القاهرة ، الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ هـ.
٤٥.القرآن الكريم
٤٦.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ) ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة سنة ١٤٠٧ هـ.
٤٧.الكشف والبيان (تفسير الثعلبي ): أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ،ت ٤٢٧ هـ = ١٠٣٥م ، حققه: الإمام أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، الناشر دار إحياء التراث العربي ، سنة النشر ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م ، مكان النشر بيروت – لبنان.
٤٨.الكشف والبيان (تفسير الثعلبي ): أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ،ت ٤٢٧ هـ = ١٠٣٥م ، حققه: الإمام أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، الناشر دار إحياء التراث العربي ، سنة النشر ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م ، مكان النشر بيروت – لبنان.

٤٩.لباب التأويل في معاني التنزيل: أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) ، تصحيح: محمد علي شاهين ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
٥٠.اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) ، حققه: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.
٥١.لطائف الإشارات = تفسير القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن
٥٢.المبسوط في القراءات العشر: أبو بكر أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوري، (المتوفى: ٣٨١هـ) ، حققه: سبيع حمزة حاكيمي ، الناشر: مجمع اللغة العربية – دمشق ، عام النشر: ١٩٨١ م.
٥٣.محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) ، حققه: محمد باسل عيون السود ، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.
٥٤.المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ) ، الناشر: وزارة الأوقاف–المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، الطبعة: ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م.
٥٥.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، ابن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) حققه: عبد السلام عبد الشافي محمد ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
٥٦.المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، حققه: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٥٧.معالم التنزيل في تفسير القرآن: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى:٥١٦هـ) المحقق: عبدالرزاق

المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

٥٨.مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

٥٩.الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) حققه: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي– جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية– جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ– ٢٠٠٨م.

٦٠.الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد ابن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية– دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٦١.الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) حققه: وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، والدكتور أحمد محمد صيرة، والدكتور أحمد عبد الغني الجمل، والدكتور عبد الرحمن عويس ، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م.

٦٢.وفيات الأعيان و انباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد ابن محمد بن أبي بكر بن خلكان، ت:٦٨١هـ، تحقيق احسان عباس ، الناشر دار الثقافة.